

## دراسة في أصل مصطلح التصوف ودلالته

د. أمين يوسف عودة

مركز اللغات، جامعة آل البيت

### ١٠ في اشتقاق التصوف ومعناه:

عني القدماء والمحدثون على السواء بالبحث في اشتقاق كلمة " تصوف " ونظروا فيما يتعلق بأصالة هذا المصطلح من الناحية الدينية، ومدى صلته بالإسلام على صعيدي الشكل والمضمون . وسواء أكانت كلمة " صوفي " نسبة أم لقباً، فإن محاولة تحديد الأصول التي انحدرت منها، والفترة الزمنية التي أخذت تشيع فيها، يمكن أن يلقيا ضوءاً على هذه النزعة الروحية في الإسلام التي شغلت الباحثين على مختلف مشاربهم، ولم يتوصل بعد إلى رأي راجح يطمأن إليه . ولعل من أهم النتائج المتوقعة الحصول عليها من دراسة المصطلح دراسة اشتقاقية ودلالية، تتمثل فيما ينطوي عليه هذا الأصل من مفاهيم أصيلة أو دخلية؛ ليصح بعد ذلك رصدُ ثوابت هذه المفاهيم ومتغيراتها في الفترة المدروسة دراسة تمكنا من وصل الأسماء بمسمياتها، والمصطلحات بمفاهيمها، محاولين اجتناب التعسف والشطط قدر الإمكان .

لقد أثار مصطلح التصوف حفيظة فئات غير قليلة من أهل السنة، ووقفوا من دونه موقف الريبة، لا باعتبار التسمية فقط، ولكن باعتبار السلوك والنتائج المعرفية المترتبة عليه . وهذا الوجه هو الأقوى في إثارة الحفيظة؛ لأن التسمية في حد ذاتها لا تسبب إشكالاً إذا كان مضمونها موافقاً للكتاب والسنة والإجماع، حسب تصورات أهل السنة أنفسهم . وهناك شواهد وافرة قدّمتها الإسلام منذ الوهلة الأولى . ولعل أول هذه الشواهد مصطلح " الصحبة والصحابة " والصحابة مصطلح أُطلق على كل من صحب الرسول صلوات الله وسلامه عليه

مؤمناً به، وبانقاله إلى الرفيق الأعلى، لم يحز أحد بعد ذلك على شرف هذه التسمية، لكنها بقيت شاهداً إلى يومنا علامة على الرجال والنساء الذين حظوا بالصحبة أصل التسمية . بل إن الصحابة سموا بالمهاجرين والأنصار، وهاتان تسميتان أخريان، الأولى أطلقت على الذين هاجروا من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم، والأخرى الأنصار، وهم الذين استقبلوهم وقاسموهم حياتهم ونصروا نبي الله صلى الله عليه وسلم، حين جابهته قريش بالعداء، وكان الأنصار قبل ذلك يُعرفون بأسماء قبائلهم، الأوس والخزرج . فإذا ما انتقلنا إلى عصر التابعين، وجدنا أن مصطلح " التابع " قد حدث، وأُطلق على من عاصر نفراً من الصحابة واقتفى آثار حياتهم الدينية والدنيوية . والعلاقة هنا بين الاسم والمسمى لا تحتاج إلى مزيد بيان . وكذلك يقال في بقية المصطلحات ذات الطابع السلوكي أو العلمي، كمصطلح " الزهد " أو " الزهاد " الذي أُطلق على جماعة تنبذ الشؤون الدنيوية وتقف جلّ وقتها على العبادة ابتغاء الفوز بنعيم الآخرة، والنجاة من عذاب النار، وهو مصطلح ذو طابع سلوكي . وهناك مصطلح " الفقيه " أو " الفقهاء " وهو مصطلح ذو طابع علمي، غلب إطلاقه على المشتغلين باستنباط الأحكام الشرعية من مصادرها . وهكذا، نعثر على جملة من التسميات يتم التواطؤ عليها انطلاقاً من حقيقة المعنى المراد التعبير عنه . بل إن بعض التسميات قامت على أساس من صفة اللباس . فقد ورد في قوله تعالى : { قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ } (1) ، إن هذه التسمية مأخوذة من صفة البياض في اللباس، إذ كان أصحاب عيسى عليه السلام وناصروه يمتازون بلبس البياض(2). ولا شك أن كل من

(1) آل عمران، ٥٢.

(2) ورد في صحيح البخاري أن الحواريين سموا كذلك لبياض ثيابهم ( كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه

وسلم ) دار ابن كثير دمشق، ١٩٩٣ .

تَصَرَّه بعد ذلك، وإن لم يلبس البياض، يندرج في زمرة الحواريين من جهة المعنى . فالتسمية بالحواري مشتقة من صفة اللباس أصلاً، على أن مضمونها يفيد التأييد والمؤازرة والنصرة للمسيح عليه السلام . ولا يخفى على أحد، ما تُضيفه سمة البياض على هذه الصحبة من طهارة ونقاء .

والقرآن نفسه لا يني يحدثنا عن أصناف عباد الله المؤمنين، مسمياً كل زمرة منهم بتسمية هي الغالبة على سلوك أشخاصها . فمنهم التوابون، والصابرون، والمحسنون، والساجدون، والراكعون، والذاكرون، والمتوكلون . . إلى غير ذلك من نعوت مستمدة من غلبة الصفة التي تقوم في العبد . ومن طريف ما قيل من شعر في ذكر هذه التسميات، قول السيد الحميري (ت ١٧٠هـ) في مدح آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (٣)

أهلِ التقى وذوي النهى وأولي العلى والناطقين عَنِ الحديثِ المُستندِ  
الصَّائمينِ القَائمينِ القَانتِيهِ — نَ الفَاتِقِينَ بنيِ الحِجَى والسُّوْدِ  
الرَّاكِعِينَ السَّاجِدِينَ الحَامِدِيهِ — نَ السَّابِقِينَ إلی صِلَاةِ المَسْجِدِ  
الفَاتِقِينَ السَّرَاتِقِينَ السَّائِحِيهِ — نَ العَابِدِينَ إلیهِمُ بِتَوَدُّدِ

فلا مشاحة إذن من إطلاق التسميات على هذا النحو ما دامت مستفادة من الفعل، أو الشيء، أو بما اقترن بهما من مستلزمات، أو لواحق أخرى كاللباس، والهيئة، والمكان، والزمان وما شابه . ولنا في أهل الصفة مثال على التسمية المكانية . وهو نعت تسمى به فقراء المهاجرين الذين لم يجدوا مأوى لهم فلاذوا " بصفة " مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ونسبوا إليها . وهنا نجد أنهم قد حازوا على شرف التسميات الثلاث، شرف الصحبة، وشرف الهجرة، وشرف الصفة، وانضوا تحت معاني المصطلحات الثلاثة . فإذا كان أمر التسميات لا

(٣) الديوان، جمعه وحققه وشرحه : شاکر هادي شکر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٨٧ .

مشاحة فيه ما دام مضمونه لا يخالف كتاباً ولا سنة، فلنا فيما تقدم أسوة في اعتبار مصطلح " التصوف " واحداً من المصطلحات التي شاع أمرها في أوائل القرن الثاني . ولنا عودة إلى تحديد هذه الفترة لاحقاً.

لعل السراج الطوسي (ت ٣٧٨) يعد أول المؤرخين لتجربة التصوف الذين أخذوا على عاتقهم تحقيق أصل التسمية بالصوفي . فقد عقد لها باباً بعنوان: " باب الكشف عن اسم الصوفية ، ولم سُموا بهذا الاسم، ولم نسبوا إلى هذه النسبة " وفيه يذكر أن هذه التسمية مأخوذة من لبس الصوف اقتداءً بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم والأولياء الصالحين<sup>(٤)</sup> وهذا تعليل مأخوذة من صفة اللباس، وهو يخص الشكل. بيد أنه يضيف إليه تعليلاً آخر يخص المضمون، وهو أن التصوف في مضمونه يرتكز على ثنائية من " المقامات والأحوال " التي هي قوام التجربة الصوفية والمقامات هي المراتب الخلقية التي يتدرج فيها الصوفي السالك في صعوده الروحي . أما الأحوال فهي الحالات الشعورية المتباينة التي تنهال على وجدانه هبة من الله تعالى. فالصوفي لا يقف عند مقام واحد أو حال واحدة، وإنما هو في طور انتقال دائم. وقد أبان الصوفية أنفسهم عن ذلك بقولهم : "الصوفي ابن وقته "؛

---

(٤) الطوسي، اللمع، حققه وقدم له وخرج أحاديثه : د عبد الحلیم محمود وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٤٠ - ٤١ . وقد ورد في بعض الأحاديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل خشناً، وليس خشناً، لبس الصوف، واحتذى المخصوف . رواه ابن ماجة والحاكم . وعن أبي موسى الأشعري قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار، ويعتقل الشاة، ويأتي مراعاة الضيف " . رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، قاله الذهبي . د. عبد الحلیم محمود وزمليه، تخريج أحاديث كتاب اللمع، ملحق بذيل الكتاب، ص ٥٧٤ ويروى عن الحسن البصري قوله : " لقد رأيت سبعين بدياً كان لباسهم الصوف " الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف، تحقيق وتعليق: محمود أمين النوري، ط ٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٣١ . السهروردي، عوارف المعارف، ملحق بذيل الجزء الخامس من إحياء علوم الدين للغزالي، دار الفكر، بيروت، ص ٨٣ . وكان أغلب الصوفية يلبسون الصوف. أبو نعيم الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١/٣٤٥ .

ولذا، فإن لقب الزاهد، مثلاً، لن يفيد بالعرض للدلالة على مضمون التصوف؛ لأن الزاهد يقف عند مقام الزهد وحسب، وهو من بعض مقامات التصوف . والأمر نفسه ينسحب على التوبة، والصبر، والتوكل، وغيرها من مقامات . كذلك الأحوال، كالقبض، والبسط، والأنس . . . فلا يصلح واحد منها أيضاً للدلالة على معنى التصوف . كتب الطوسي: " فلما كانوا [ الصوفية ] في الحقيقة كذلك، لم يكونوا مستحقين اسماً دون اسم، فلأجل ذلك ما أضفت إليهم حالاً دون حال، ولا أضفتهم إلى علم دون علم؛ لأنني لو أضفت إليهم في كل وقت حالاً هو ما وجدت الأغلب عليهم من الأحوال، والأخلاق، والعلوم، والأعمال، وسميتهم بذلك، لكان يلزم أن أسميهم في كل وقت باسم آخر، وكنت أضيف إليهم في كل وقت حالاً دون حال حسب ما يكون الأغلب عليهم، فلما لم يكن ذلك، نسبتها إلى ظاهر اللبسة؛ لأن لبسة الصوف دأب الأنبياء عليهم السلام وشعار الأولياء والأصفياء . . . فلما أضفتهم إلى ظاهر اللبسة كان ذلك اسماً مجملاً عاماً مخبراً عن جميع العلوم والأعمال والأخلاق والأحوال الشريفة المحمودة"<sup>(٥)</sup> ثم يأتي على ذكر الحواريين في القرآن، وسبب تسميتهم بهذا الاسم فيقول: " وكانوا قوماً يلبسون البياض، فنسبهم الله إلى ذلك ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم، والأعمال، والأحوال التي كانوا بها مترسمين... " (٦) فامتازوا عن غيرهم من سائر أتباع المسيح بهذه التسمية .

وكذلك الشأن في لبس الصوف الذي ارتبطت دلالاته بالتواضع لله عز وجل والانكسار له وإيثار الزهد في نعيم الدنيا رغبة في تحقيق مقام القرية من الحق تعالى، وهذه من سمات الأنبياء والصالحين، فمن اقتدى بهم ولبس خشن الثياب وأدناها للتواضع، فقد دخل زمرة الصالحين .

(٥) اللمع، ص ٤٠ .

(٦) نفسه، ص ٤٠-٤١. والجدير بالذكر أن الكلاباذي قد أشار إلى بعض التسميات التي أطلقت على الصوفية نسبة إلى أحوالهم أو مقاماتهم من مثل " غرباء " لخروجهم عن الأوطان، و " سياحون " لكثرة أسفارهم وسياحتهم في البراري، و " شكفتية " لإيوائهم إلى الكهوف عند الضرورة. والشكفت: الغار والكهف. وأهل الشام سموهم " جوعية " لأنهم ينالون من الطعام قدر ما يقيم الصلب للضرورة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه. " و " فقراء " من تخليهم عن الأملاك . التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ٢٩-٣٠ . على أن هذه التسميات لم تصمد كثيراً أمام مصطلح " الصوفي " لأنها من أبعاضه . وكلما عبر المصطلح عن المعنى تعبيراً أدق، أثبتته التواطؤ والعرف ونفى غيره.

وقد ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع ثوبه<sup>(٧)</sup> وكذلك زوجته عائشة رضي الله عنها، ولبس عمر بن الخطاب المرقعة<sup>(٨)</sup>. وحديث "ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره" مشهور .

وما يبدو محتملاً هو أن لباس الصوف، كان الأكثر تداولاً بين الناس، ولا سيما الفقراء، كما وجدناه عند أهل الصُّفَّة، بسبب قربه من تناول الأيدي دون كبير كلفة، ولا اعتماد المجتمع في ذلك الحين على منتجات الأنعام من الصوف . وهذه الأمور، كما تبدو، مستفادة من الواقع المعيش . على أن هناك أموراً أخرى انحدرت من التراث الجاهلي العام، وأخرى تشكَّلت عبر ثقافة الإسلام الجديدة التي نقلت أخبار الأولين من الأنبياء والصالحين، اقترن فيها الصوف بالعبادة، والتوجه إلى الله وإلى ما يستتبع ذلك من نبذ لشؤون الدنيا . فمن ذلك ما نقله ابن قتيبة في وصف المسيح عليه السلام . قال: " بلغني أن عيسى خرج على أصحابه وعليه جبة من صوف وكساء وتبان [السروال القصير] حافياً، مجزوز الرأس والشاربين، باكياً، شعثاً، مصفر اللون من الجوع، يابس الشفتين من العطش . . . فقال: السلام عليكم يا بني إسرائيل، أنا الذي أنزلت الدنيا منزلتها، ولا عجب ولا فخر، أتدرون أين بيتي؟ قالوا : أين بيتك يا روح الله؟ قال: بيتي المساجد، وطبيبي الماء، وإدامي الجوع، ودابتي رجلي، وسراجي بالليل القمر . . . وطعامي ما تيسر، وفاكهتي

---

(٧) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، قدم له وعلق عليه: أسامة عبد الكريم الرفاعي، ص

(٨) حلية الأولياء، ٤٧/٢ .

وريحاني بقول الأرض، ولباسي الصوف، وشعاري الخوف، وجلسائي الرّمنى [ المرضى والضعفاء ] والمساكين. أصبح وليس لي شيء، وأنا طيب النفس غني أكثر، فمن أغنى وأريح مني؟<sup>(٩)</sup>.

وقد خاطب الله عز وجل نبيّه بالافتداء بالأنبياء السابقين في قوله: [أولئك الذين هدّى الله فيهداهم اقتده] (الأنعام: ٩٠) وها هم أولاء بنو صوفة في الجاهلية الأولى من العرب، كانوا يتزهدون ويتعبدون لله عز وجل، ويخدمون الكعبة، ويجيزون الحاج. وبنو صوفة هؤلاء هم أولاد الغوث بن مر بن أد الملقب بصوفة وبالربيط. وذلك أن أمه كانت قد نذرت، وكان لا يعيش لها ولد، لئن عاش لتربطن برأسه صوفة، ولتجعلنه ربيط الكعبة. ففعلت وقدمته خادماً للبيت، فعرف بالربيط.<sup>(١٠)</sup> وكان يقوم على خدمة الكعبة وولده من بعده. وقال بهذه المناسبة شعراً وفاء لنذر أمه: <sup>(١١)</sup>

إِنِّي جَعَلْتُ رَبًّا مِنْ بَنِيَّةٍ      رِبِيْطَةً بِمَكَّةَ الْعَلِيَّةِ  
فَبَارَكُنْ لِي بِهَا أَلِيَّةً      واجعله لي مِنْ صَالِحِ الْبَرِيَّةِ

وقال فيهم مرّة بن خليف الفهمي، وهو شاعر جاهلي قديم: <sup>(١٢)</sup>  
إِذَا مَا أَجَازَتْ صَوْفَةُ النَّقَبِ مِنْ مَنِي      وَوَلَّاحَ قَتَاثٌ فَوْقَهُ سَفْعُ الدَّمِّ

(٩) عيون الأخبار، ٢/٢٦٩.

(١٠) محمد بن السائب الكلبي، جمهرة النسب، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٨٩. وللمزيد انظر: الأزرقى، كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ص ١٢٨-١٢٩. حلية الأولياء، ١/١٧. د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين، مكتبة النهضة، بيروت، بغداد، ١٩٧٠، ٦/٣٨٧.

(١١) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٣/٣٨٧.

(١٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٦/٣٨٧.

وبعينا من هذه القصة تقليد النذر وارتباطه بالصوفة • وقد أبان الدكتور الشيبلي عن هذه العلاقة، باعتبار الغوث أضحية مقدمة لله، وكأن أمه تريد القول: إن ابني هذا حمل من هدي الكعبة، فهو بحكم المقرب إلى الله، فإن أبواه كانا من أهل الصفة بلباسهم الصوف، يشتركون مع بني صوفة في أن أفراد كلتا الطائفتين منقطعون إلى الله، وأنه كان عليهم ما يشركهم في الهدى المسوق إلى الكعبة، وأن أرواحهم كانت في تصرف الله<sup>(١٣)</sup>.  
ثم يذكر بعض العادات الجاهلية والإسلامية التي أبقّت على العلاقة الرمزية بين الصوف والأضحية من مثل وأد البنات في الجاهلية، وذلك باللباس الفتاة جبّة من صوف أو شعر بوصفها شاة، ورعيها مع الغنم ست سنوات، ثم تطيبها وتزيينها قبل دفنها في الرمال.

ويستدعي الدكتور الشيبلي قصة الذبيح عبدالله أبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم حينما نذر أبوه عبد المطلب أن يتقرب إلى الله بتضحية عاشر أبنائه إن رزقه الله بهذا العدد من البنين، ثم تم استبدال البدن بالذبيح عبد الله • ومن المؤكد أن هذه العادات قد انحدرت من المصدر الأول لتقليد الأضحية الذي يمثله إسماعيل عليه السلام • وفي صدر الإسلام، كان الصوف يظهر في بعض المواطن رمزاً للتضحية والمبايعة على الموت في سبيل الله • ذكر ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم، أخبر أصحابه في بداية وقعة بدر أن الله أمدهم بالملائكة ربطاً على قلوبهم • وأن الملائكة نزلت " والصوف في نواصي خيلهم " فأمرهم صلى الله عليه وسلم بقوله: " إن الملائكة قد سومت فسوموا " فكان أن

---

(١٣) د. كامل مصطفى الشيبلي، رأي في اشتقاق كلمة صوفي، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع ٥، سنة ١٩٦٢، ص ٢٣٦ - ٢٣٧.



"أعملوا بالصوف في مغافرههم وقلانسهم" (١٤) ويتصل بهذا أيضاً أن علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، كان في هذا اليوم معلماً بصوفة بيضاء (١٥). على أن قصة الذبيح إسماعيل، عليه السلام، تبقى هي الأصل في الربط بين الصوف، رمزاً، ومعنى التضحية، فقد كان إسماعيل هو المضحي به، ثم استبدل الله به كبشاً، وتحول هذا الاستبدال بعد ذلك إلى شعيرة من شعائر الحج.

فمن خلال النماذج الآنفة، نجد أن "الصوف" صار رمزاً دالاً (وينزاح انزياحاً ملحوظاً من جهة كونه مدلولاً). فالصوفة المعقودة على رؤوس الصحابة في وقعة بدر، تعلق مدلولها بتقديم الأجساد والأرواح في سبيل الله؛ أي أن البدنة هنا هي الجسد، وإراقة الدم هنا حقيقية وليست مجازية. وفي المقابل، فإن الغوث بن مر الجاهلي، كانت صوفته المعلقة برأسه لا تحيل على معنى إراقة الدم، وإنما على معنى النفس في العبادة وخدمة بيت الله. فإذا صح هذا التحليل، أمكن الربط بينه وبين الجهاد بمعنى القتال والحرب، والجهاد بمعنى جهاد النفس والهوى والشيطان، وكلاهما أصل وارد في القرآن والسنة. ولقد تجلّى المفهوم الأخير في مضمون التصوف تجلياً عاماً، وعلى نحو خاص في مقولة حاتم الأصم (ت ٢٣٧) في قوله عن سلوك مذهب التصوف: "من دخل في مذهبنا هذا، فليجعل في نفسه أربع خصال من الموت: موتاً أبيض وهو الجوع، وموتاً أسود وهو احتمال الأذى من الخلق، وموتاً أحمر وهو العمل الخالص في مخالفة الهوى، وموتاً أخضر وهو طرح الرقاع بعضها على بعض" (١٦) بل إن المعنى يبلغ ذروته في قول سهل بن عبد الله (ت ٢٨٣) عن

(١٤) ابن سعد، الطبقات، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٦/٢. رأي في اشتقاق كلمة صوفي، مجلة كلية الآداب، بغداد، ٥٥، سنة، ١٩٦٢، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(١٥) رأي في اشتقاق كلمة صوفي، ص ٢٤٠.

(١٦) القشيري، الرسالة القشيرية، تحقيق وإعداد: معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطه جي ط ٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠، ص ٣٩٣-٣٩٤.

الصوفي، بما يذكرنا بمعنى التضحية الجسدية • يقول: " ماله مباح ودمه هدر" (١٧) • فيتبين من ذلك أن رمز الصوفية يتنازع معنيان، الأول حقيقي وهو الموت، والآخر مجازي وهو موت النفس بقطامها عن الأهواء وفضول الرغبات بغية استخلاصها لله عز وجل • وهذا المعنى الأخير هو المعول عليه في هذا البحث، حيث اقترن الصوف بمجاهدة النفس وتصفيتها من شوائب الدنيا بالزهد، والتواضع لله، والإقبال عليه دون سواه •

على أن التصرف في دلالاته هذه، يبقى معناه ناقصاً نقصاً جوهرياً في غياب جانبه المعرفي، الناتج عنه باعتباره سلوكاً. فالهدف من المجاهدة (= السلوك الصوفي) هو معرفة الله تعالى في أسمائه وصفاته وأفعاله، مصداقاً لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} (١٨) وقد فسرها مجاهد بـ " إلا ليعرفون" (١٩) والمعرفة ثمرة المجاهدة، والسعي الصوفي • بل إن مصطلح العارف يستبدل أحياناً بمصطلح الصوفي باعتباره مترادفين • فقد قيل: "إن الصوفي ابن وقته" (٢٠) كما قيل أيضاً: " إن العارف ابن وقته" (٢١) وقد قيل في المعرفة: " المعرفة حياة القلب مع الله " و " المعرفة تأتي من عين الجود، وبذل المجهود

---

(١٧) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(١٨) الذاريات، ٥٦.

(١٩) أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، بعناية الشيخ عرفان العشا حسونة، دار الفكر، بيروت، ٥٦٢/١٩٩٢، ٩.

(٢٠) السهروردي البغدادي، عوارف المعارف، ص ٨٠.

(٢١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ٣١٩/٣، ١٩٩٤.

"(٢٢) • وبذا يظهر الترابط جلياً بين المجاهدة ( = السلوك الصوفي) والمعرفة،  
وبهما معا يكتمل معنى التصوف(٢٣) •

وإذا تابعنا التحليل، وعرجنا على الرأي الذي يقول إن التصوف مشتق من  
الصفاء أو من أهل الصفة، فنصل إلى أن الأمر لا يستقيم من جهة الاشتقاق  
اللغوي، ولكنه يستقيم من جانب المعنى، فالصفاء من تصفية النفس من كدورات  
البشرية، وأهل الصفة عامة كانوا مقيمين على تحقيق هذه الخصلة في نفوسهم •  
وما تجدر الإشارة إليه أن مثل هذه الكلمات المؤهلة لأن تكون أصلاً اشتقاقياً  
للتصوف أكثر من غيرها، تشترك في حرفين على الأقل هما الصاد والفاء مع مادة  
" صوف " • وأما المدلولات فمتشابهة، ولما كان التصوف يشتمل على معنى  
الصفاء، وصفة أهل الصفة، وبه يستقيم الاشتقاق لغوياً من مادة " صوف " وفي  
ضوء ما تقدم من تحليل، فإن اشتقاق التصوف من الصوف هو الراجح، وهو الرأي  
الذي يُطمأن إلى صحته، والآراء الأخرى مرجوحة(٢٤) •

---

(٢٢) الرسالة القشيرية، ص ٣١٧.

(٢٣) يلحظ هذا الترابط في قوله تعالى: {واتقوا الله ويعلمكم الله} (البقرة، ٢٨٢) • وفي قوله: {يا أيها الذين  
آمنوا إن نتقوا الله يجعل لكم فرقانا} ( الأنفال، ٢٩).

(٢٤) الآراء الاشتقاقية الأخرى تذكر هنا للتبويه فقط؛ لأن أغلب الدراسات قديماً وحديثاً عدتها مرجوحة:

١- نسبة إلى الصف الأول من الصلاة •

٢- نسبة إلى صوفة القفا، وهي خصلة الشعر على القفا •

٣- نسبة إلى الصفوانة، وهي نوع من البقل •

وكما لاحظ القشيري، فإن هذه الآراء لا يشهد لها اشتقاق من جهة القياس اللغوي • انظر : الرسالة القشيرية،

ص ٢٧٩. ابن رزوق، قواعد التصوف، صححه ونقحه: محمد زهري النجار، مكتبة الكليات الأزهرية، ص ٦٠.

عبد الرحمن بدوي، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، ط ٢، وكالة المطبوعات،

الكويت، ١٩٩٣، ص ٨٩.

مر فيما تقدم أن المجاهدة (= السلوك الصوفي) تفضي إلى المعرفة. والمعرفة في معناها الدقيق تقتضي إدراك حقائق الأشياء على ما هي عليه • فهل يستقيم هذا الأمر مع تعريفات الصوفية أنفسهم للتصوف؟ لقد تناول التصوف بتعريفات شتى تزيد على المئتين • وقد جمع منها نيكلسون ثمانية وسبعين تعريفاً من مصادر مختلفة<sup>(٢٥)</sup> وعلق على تعددها وتنوعها بقوله: " وكذلك حال الذين يعرضون للتصوف بالتعريف، لا يستطيعون إلا أن يحاولوا التعبير عما أحسسته نفوسهم، ولن يكون تعريف مفهوم يضم كل خفية من الشعور الديني المستكن لكل فرد، ما دامت هذه التعريفات، على أية حال، تصور باختصار لائق بعض وجوه التصوف وخصائصه"<sup>(٢٦)</sup> وهذا القول سيكون في غاية الدقة لو ربط بالأحوال والمقامات، لا بوجوه التصوف، كون التصوف لا تعدد في وجوهه، وإنما التعدد في أحواله ومقاماته التي ينبني عليها الوجه الأوحد للتصوف وهو التوجه لفاطر السموات والأرض في كل حال<sup>(٢٧)</sup> ولكن تنوع الأقوال في تعريف التصوف وتكثرت، تبعاً لتنوع الأحوال والمقامات • وخير شاهد نسوقه هنا هو قول الصوفية أنفسهم من أن " الصوفي ابن وقته "<sup>(٢٨)</sup> ولسوف يأتي أن بعض الصوفية قد عرّف التصوف بما يحيل على مقام التوكل، أو الفقر، أو الزهد وغيرها، وهذه من ضمن المقامات؛ أي من عناصر التصوف • كما أن بعضهم قد أحال على بعض المفاهيم المرتبطة

(٢٥) تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى نهاية القرن الثاني، ص ١٥ •

(٢٦) نيكلسون، الصوفية في الإسلام، ترجمة: نور الدين شريبة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٩.

(٢٧) يظهر هذا الوجه في قوله تعالى: {إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا

المشركين} {الانعام، ٧٩} و {قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين} {الانعام، ١٦٢}.

(٢٨) عوارف المعارف، ص ٨٠.

بالأحوال في ذكره لمعنى التصوف، وكل هذا داخل في المعنى بوصفه عنصراً في تكوينه، لا أنه هو وحسب. يقول السهروردي البغدادي (ت ٥٦٣هـ): "وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول، ويطول نقلها" (٢٩) ويضيف قائلاً: "لأنهم أشاروا فيها إلى أحوال في أوقات دون أوقات ٠٠٠ فقد تذكر أشياء في معنى التصوف ذكر مثلها في معنى الفقر ٠٠٠ وحيث وقع الاشتباه، فلا بد من فاصل. فقد تشبهه الإشارات في الفقر بمهني الزهد تارة وبمعاني التصوف تارة، ولا يتبين للمسترشدين بعضها مع البعض، فنقول: التصوف غير الفقر، والتصوف غير الزهد. فالتصوف اسم جامع لمعاني الفقر، ومعاني الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفياً وإن كان زاهداً وفقيراً" (٣٠) وفيما يأتي بعض النماذج التي جرت على السنة الصوفية في معنى التصوف:

- أولاً: قال معروف الكرخي (ت ٢٠٠هـ): "التصوف هو الأخذ بالحقائق، والياس مما في أيدي الخلائق" (٣١) مشيراً في جزئه الأول إلى طبيعة الجانب المعرفي للتصوف، وهو معرفة حقائق الأشياء وجواهرها، وعدم الاكتفاء بما تعطيه ظواهرها. أما الجزء الآخر من التعريف فيشير إلى مقام الزهد، وهو التخلي عما في أيدي الناس من أملاك رغبة في الله تعالى. ويمثل ذلك يقول ذو النون المصري عن الصوفي: "الصوفي من إذا نطق أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق" (٣٢) ولئن كانت إشارتنا الكرخي وذي النون إلى المعرفة

---

(٢٩) نفسه، ص ٨١.

(٣٠) نفسه، ص ٧٩.

(٣١) الرسالة القشيرية، ص ٢٨٠. عوارف المعارف، ص ٧٩.

(٣٢) أبو عبد الرحمن السلمي، طبقات الصوفية، تحقيق: نور الدين شريعة، ط ٣، مكتبة الخانجي، القاهرة،

١٩٨٦، ص ١٩.

مجملتين مختصرتين، فإن أبا الحسن الحصري(ت ٣٧١هـ) يدلي ببعض التفاصيل في هذا الجانب إذ يقول: "الصوفي من كان وجدته وجوده، وصفاته حجاباً"<sup>(٣٣)</sup> والمقصود من كلامه أن حال الوجد يظهر على حقيقة أن الوجود الحقيقي هو وجود الحق تعالى لاغير، وأن صفات العبد، في حال عدم الوجد، تحول بينه وبين الفناء عن نفسه وعن السوي، الأمر الذي يؤدي إلى عدم قدرة الصوفي على إدراك أن وجود الحق هو عين وجوده .

- ثانياً: سئل سمون (ت ٢٩٠هـ) عن التصوف فقال: " أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء "<sup>(٣٤)</sup> والعلاقة هنا بين المالك والمملوك علاقة تبادلية، فالمالك للشيء يكون مملوكاً له، كالمال، فهو مملوك وفي الوقت نفسه مالك لقلب صاحبه ويده. فأن تملك شيئاً ولا يملكك شيء، هذا يعني التحقيق بمقام العبودية الخالصة حيث تحررت من رق الأكوان وأصبحت عبوديتك خالصة لله وحده.

- ثالثاً: قال عمرو بن عثمان المكي(ت ٢٩١هـ): " التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولاً بما هو أولى في الوقت "<sup>(٣٥)</sup>. وقال أحمد الجريدي(ت ٣٠٤ أو ٣١١هـ): " التصوف مراقبة الأحوال ولزوم الأدب "<sup>(٣٦)</sup> وقال أبو بكر الشبلي (ت ٣٣٤هـ): " التصوف ضبط حواسك

---

(٣٣) نفسه، ص ٤٩١.

(٣٤) اللمع، ص ٤٥٠ الرسالة القشيرية، ص ٢٨٠ . الهجويري، كشف المحجوب، دراسة وترجمة وتعليق: د.

إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت، ص ٢٣٣.

(٣٥) عوارف المعارف، ص ٨١.

(٣٦) الرسالة القشيرية، ص ٢٨٢.

ومراعاة أنفسك<sup>(٣٧)</sup> وهذه التعريفات كلها تنطلق من حال المراقبة، وبها يتمكن العبد من أداء أعماله على الوجه الأكمل، وكما أريد لها أن تكون • وحال المراقبة مستفاد من الإحسان في قوله صلى الله عليه وآله وسلم: "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"<sup>(٣٨)</sup>.

- رابعاً: سئل الجنيد (ت ٢٩٧هـ) عن التصوف فقال: "هو أن يمينك الحق عنك ويحييك به"<sup>(٣٩)</sup> وهو قول صادر من حال الفناء، وفيه يفنى العبد عن رؤية نفسه ليراهما برؤية الله له، فتكون رؤيته بالله ولله ولا حظ للنفس فيها • ويدخل في المعنى نفسه قول أبي نصر الطوسي (ت ٣٧٨هـ): "إسقاط رؤية الخلق ظاهراً وباطناً"<sup>(٤٠)</sup> وهو رؤية الكون على حقيقة أنه قائم بالله لا بنفسه، وأن حقيقته العدم، ولولا قيام الوجود الحق به لما ظهر، أي لما وجد • وهذه الحقيقة لا تدرك إلا من حال الفناء •

- خامساً: سئل رُويم (ت ٣٠٣هـ) عن التصوف فقال: "استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد"<sup>(٤١)</sup> ناظراً إلى التصوف من مقام الرضا، الذي يحمد فيه الله على السراء والضراء، إذ لا مجال للاعتراض أو السخط على إرادة الله ومشيئته • والمعنى نفسه نقرأه عند أبي سهل الصعلوكي (ت ٣٨٧هـ): "التصوف، الإعراض عن الاعتراض"<sup>(٤٢)</sup>.

---

(٣٧) طبقات الصوفية، ص ٣٤٠.

(٣٨) البخاري في كتاب الإيمان والسفر.

(٣٩) الرسالة القشيرية، ص ٢٨٠.

(٤٠) طبقات الصوفية، ص ٥٠٣.

(٤١) اللمع، ص ٤٥. عوارف المعارف، ص ٨١.

(٤٢) الرسالة القشيرية، ص ٢٨٣.

-سادساً: وهو لرويم أيضاً. وفيه ينتقل بتعريف التصوف من مقام الرضا إلى مقامي الفقر والتوكل. يقول: "التصوف مبني على ثلاث خصال، التمسك بالفقر والافتقار، والتحقق بالبذل والإيثار، وترك التصرف والاختيار" (٤٣).

-سابعاً: قيل لعلي الحصري، من الصوفي عندك؟ فقال: "الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء" (٤٤) وبنبه القشيري (ت ٤٦٥هـ) إلى هذا التعريف قائلاً: "إنما أشار إلى حال المحو" (٤٥) هذه جملة من التعريفات، وكل واحد منها يتكئ في معناه على أحد المقامات أو الأحوال. بل إن كثيراً منها يفتح بعضه على بعض من دون أن يكون بينها كبير اختلاف. كما أن المسؤول الواحد عن تعريف التصوف أو الصوفي قد يجيب بغير معنى، انطلاقاً من المقام أو الحال الذي يكون غالباً عليه في أثناء الإجابة، أو مراعاة لحال السائل. (٤٦) ولذلك اختلفت العبارة، والمعنى المشار إليه واحد، وهو كما قال القائل: (٤٧):

عِبَارَاتُنَا شَتَّى وَحُسْنُكَ وَاحِدٌ      وَكُلٌّ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ يَشِيرُ

---

(٤٣) نفسه، ص ٢٨٠.

(٤٤) نفسه، ص ٢٨٣.

(٤٥) نفسه والصفحة نفسها.

(٤٦) من أقوال الجنيد في التصوف على سبيل المثال: "أن تكون مع الله بلا علاقة" للمع، ص ٤٥. وقوله: "التصوف هو أن يمينك الحق عنك ويحييك به" و "التصوف ذكر مع اجتماع، ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع" الرسالة القشيرية، ص ٢٨٠.

(٤٧) صدر الدين الشيرازي، إيقاظ النائمين، تقديم وتصحيح: د. محسن مؤيدي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگی، طهران، ١٣٦١، ص ١٢.



ولئن كان مفهوم التصوف، في أحد جوانبه الهامة، يستند إلى ثنائية المقامات والأحوال فإنه من جانب آخر، يعترف من معين الأخلاق الإسلامية. وقد آثرنا ذكر هذا الجانب بمعزل عن التعريفات السابقة؛ لأنه دعامة قائمة بعينها في استكمال مفهوم التصوف، فلا تصوف بلا أخلاق. ولعل مستند الصوفية الأخلاقي ينبع من عين الآية القرآنية التي يمدح الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيها بقوله: " { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } " (٤٨) ثم ما ورد في السنة من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٤٩) ولذلك تجد الصوفية يعتقدون بهذا الأصل أيما اعتداد، والتصوف عندهم مقرون بالأدب من دون منازع. قال أبو حفص النيسابوري (ت ٢٧٠هـ): " التصوف كله أدب. لكل وقت أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول " (٥٠) وقال محمد بن علي القصاب (ت ٢٧٥هـ) أستاذ الجنيد، التصوف: "أخلاق كريمة ظهرت في زمان كريم من رجل كريم مع قوم كرام" (٥١). وقال أبو محمد الجريدي (ت ٣١١هـ) إن التصوف هو: " الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني " (٥٢) ونسب الهجويري قولاً للإمام محمد الباقر عليه السلام (ت ١١٣ أو ١١٧هـ): " التصوف خلق، فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف " (٥٣). بل إن أبا الحسين النوري (ت ٢٩٥هـ) يتجاوز البعد المعرفي للتصوف ليقدم أصوله على

(٤٨) القلم، ٤.

(٤٩) رواه مالك في الموطأ، ص ٤٧٣.

(٥٠) طبقات الصوفية، ص ١١٩.

(٥١) اللمع، ص ٤٥. الرسالة القشيرية، ص ٢٨٠.

(٥٢) اللمع، ص ٤٥.

(٥٣) كشف المحجوب، ص ٢٣٤. والأرجح أن هذا القول لأبي بكر الكتاني (ت ٣٢٢) لأن أغلب المصادر

الصوفية تنسبه إليه.

الأخلاق وحسب . قال: " ليس التصوف رسوماً ولا علوماً، ولكنها أخلاق" .<sup>(٥٤)</sup>  
ولعل النوري عدل إلى هذا الرأي لشيوع أدياء التصوف في عصره الذين  
يتمسكون بالمعرفة النظرية دون العمل بها . ومن المعروف أن المعمول عليه في  
المعرفة عند الصوفية هو تلك المعرفة الذوقية الصادرة عن حقيقة المجاهدة  
بالشريعة .

وهناك أقوال أخرى غير قليلة تعتمد البعد الأخلاقي في الترجمة عن مفهوم  
التصوف، مما يدل على أن الأخلاق السنية قاعدة لا غنى عنها في إحكام مبنى  
التصوف ومعناه . ولقد ظلت هذه القاعدة ثابتة وممتدة حتى عصر ذروة التصوف  
مع ابن عربي (ت ٦٣٨هـ) الذي تبني مقولة أسلافه من أن " التصوف خُلِقَ زاد فمن  
زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف" .<sup>(٥٥)</sup> ولم يكتف الصوفية بحد التصوف  
نثراً، بل عمل بعضهم على حد معناه شعراً. قال أبو الفتح البستي (ت ٤٠٠هـ) في  
معناه المأخوذ من الصفاء، كما يرى: <sup>(٥٦)</sup>

تَنَارَعَ النَّاسُ فِي الصُّوفِي فَاخْتَلَفُوا      قَدَمًا وَظَنُّوهُ مُشْتَقًّا مِنَ الصُّوفِ  
وَلَسْتُ أَنْحِلُ هَذَا الْأَسْمَ غَيْرَ فَتَى      صَافِي فَصُوفِي ِ حَتَّى لُقِّبَ الصُّوفِي

وفي وصف الصوفية وأحوالهم في الذكر والمناجاة والزهد في الدنيا محبة لله  
وشوقاً إليه بما يوافق مفهوم التصوف، يقول أحمد بن عيسى الخراز  
(ت ٢٧٩هـ): <sup>(٥٧)</sup>

(٥٤) طبقات الصوفية، ص ١٦٧.

(٥٥) ابن عربي، الفتوحات المكية، تحقيق وتقديم: عثمان يحيي . تصدير ومراجعة: د إبراهيم مدكور، ط ٢، الهيئة  
المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ٣٤٤/١١.

(٥٦) البيروني، تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، مطبعة مجلس المعارف بحيدر آباد الدكن، الهند،  
١٩٥٨، ص ٢٥.

(٥٧) الرسالة القشيرية، ص ٣٠٤-٣٠٥.

وَتَذَكَّرُهُمْ وَفَتَّ الْمُنَاجَاةَ لِلسَّرِّ  
فَأَغْفُوا عَنِ الدُّنْيَا كَاغْفَاءِ ذِي السُّكْرِ  
بِهِ أَهْلٌ وَدَّ اللّٰهُ كَالْأَنْجُمِ الزَّهْرِ  
وَأُرَوَّاحُهُمْ فِي الْحُبِّ نَحْوَ العُلَى تَسْرِي  
وَمَا عَرَّجُوا عَنْ مَسِّ بُؤْسٍ وَلَا ضُرِّ

حَنِينِ قُلُوبِ العَارِفِينَ إِلَى الذِّكْرِ  
أُدِيرْتُ كَوْوَسًا لِلْمُنَايَا عَلَيْهِمْ  
هُمُومُهُمْ جَوَّالَةٌ بِمُعَسْكَرٍ  
فَأَجْسَامُهُمْ فِي الأَرْضِ قَتَلَى بِحُبِّهِ  
فَمَا عَرَّسُوا إِلَّا بِقَرَبِ حَبِيبِهِمْ

ويروي ذو النون المصري عن امرأة رآها في بعض سواحل الشام فسألها: من أين أقبلت؟ قالت: من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع . فقال: وأين تريدان؟ قالت: إلى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . فقال: صفيهم لي؛ فأنشدت: (٥٨)

قَوْمٌ هُمُومُهُمْ بِاللّٰهِ قَدْ عَلَقَتْ  
فَمَطْلَبُ القَوْمِ مَوْلَاهُمْ وَسَيِّدُهُمْ  
مَا إِنَّ تَنَازُعَهُمْ دُنْيَا وَلَا شَرَفٌ وَلَا  
وَلَا لِلْبَيْسِ ثِيَابٍ فَاتَّقِ أَنْقِ إِلَّا  
مَسَارِعَةً فِي إِثْرِ مَنْزِلَةٍ فَهُمْ  
رَهَائِيٌّ عُذْرَانِ وَأُودِيَّةٍ  
وَلِذِي النُّونِ نَفْسَهُ فِي وَصْفِهِمْ: (٥٩)

فَمَا لَهُمْ هِمَمٌ تَسْمُو إِلَى أَحَدٍ  
يَا حُسْنَ مَطْلَبِهِمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ  
مِنَ المَطَاعِمِ وَاللذَاتِ وَالْوَالِدِ  
لِرُوحِ سُرُورٍ حَلٍّ فِي بَلَدٍ  
قَدْ قَارَبَ الخَطُوبُ فِيهَا بَاعِدَ الأَبَدِ  
وَفِي الشَّوَامِخِ تَلْقَاهُمْ مَعَ العَدَدِ

وَأَبْدَانُهُمْ قَدْ أُسْكِنَتْ حَرَكَاتُهَا  
تَرَاهُمْ صُمُوتًا خَاشِعِينَ لِرَبِّهِمْ  
وَأَبِي نَصْرِ السَّرَاجِ الطُّوسِيِّ (ت ٣٧٨هـ) أَبْيَاتٍ فِي بَيَانِ مَعْنَى التَّصَوُّفِ،  
وَأَحْوَالِهِمُ الصُّوفِيَّةِ تَكَادُ تَكُونُ جَامِعَةً . وَفِيهَا تَفْسِيرٌ إِشَارِيٌّ طَرِيفٌ لِمَعَانِي حُرُوفِ

وَأَنَّ لِرَبِّي صَفْوَةً مِنْ عِبَادِهِ  
وَأَبْدَانُهُمْ قَدْ أُسْكِنَتْ حَرَكَاتُهَا  
تَرَاهُمْ صُمُوتًا خَاشِعِينَ لِرَبِّهِمْ

(٥٨) عوارف المعارف، ص ٨١.

(٥٩) أبو طالب المكي، علم القلب، ص ٢١-٢٢.

كلمة " تصوف " فالتاء من التقى، والصاد من الصفاء، والواو من الوفاء، والفاء من الفتوة • يقول: (٦٠)

لا تسأمن مقالتي يا صاح  
ليس التصوف حيلة وتكلفا  
ليس التصوف كذبة وبطالة  
بل عفة ومروءة وفتوة  
وتقى وعلم واقتداء والصفا  
من قام به بحقه وحقوقه  
مُتَقِنًا مُتَّصِبًا مُتَّشَمِّرًا  
متعززا متحرزا متواضعا  
تتشعشع الأنوار من أسرارهِ  
تاءُ التقى صادُ الصفا واو الوفا  
واقبل نصيحة ناصحٍ نَصَّاح  
وتقشفا وتواجدا بصياح  
وجهالة ودعابة بمزاح  
وقناعة وطهارة بصلاح  
ورضى وصدق والوفا بسماح  
وخلا عن الحدّان والأشباح  
مُسْتَمِطِرًا مُتَّقَصِّدًا السِّيَاح  
مُتَبَدِّلًا الأَشْبَاحِ والأرواح  
كتشعشع المشكاة في المصباح  
فأءُ الفتوة فاغتنم يا صاح

وإن نعوت هؤلاء الرجال، مع ما ورد في الأبيات السابقة تحيل على أغلب المعاني التي نقلتها التعريفات المتنوعة للتصوف، من مثل: تعلق الهمم بالله، والمجاهدة فيه، والأنس بذكره، والسكر بمحبته، وامتلاء القلب بنور معرفته، وطلب الفقر والزهد في الدنيا ٠٠٠ إلى غير ذلك من معانٍ وصور ترد إلى ركني التصوف الأساسيين، المقامات والأحوال • ولكن السؤال الذي يبقى قائما هو: هل تمكن الصوفية من وضع تعريف جامع مانع للتصوف، بحيث يشتمل على الجانب المعرفي والجانب الأخلاقي، فضلا عن ركني المقامات والأحوال؟

(٦٠) ديوان الحلاج (شعار نسبت إلى الحلاج)، صنعه وأصلحه: د. كامل مصطفى الشيبلي، ط٢، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤، ص ١٠٧.

لعل الجنيد، وهو المنعوت برئيس الطائفة، يلقي الضوء على هذا التساؤل . فمن أقواله الجامعة في تعريف التصوف: " تصفية القلب عن موافقة البرية، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدعاوى النفسانية، ومنازلة الصفات الروحانية، والتعلق بالعلوم الحقيقية، واستعمال ما هو أولى على الأبدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الشريعة" (٦١) وهذا التعريف على طوله يختصر في شقين، الأول يتمثل في مجاهدة النفس وفق الشريعة المحمدية، والآخر في إدراك الحقيقة، زبده الشريعة. وبهذين الشقين يكتمل معنى التصوف. ولما كان المصطلح يجنح إلى الإيجاز، وإفادة المعنى بأقل قدر ممكن من الألفاظ، فقد نجد مبتغانا عند أبي بكر الكتاني الذي يعرف التصوف بأنه: " صفاء ومشاهدة " فالصفاء، هو المعبر عنه بمجاهدة النفس (= الوسيلة) والمشاهدة، هي المعبر عنها بالحقيقة (= الغاية) والحقيقة عند الصوفية، شهادة أن لا إله إلا الله كما شهدها الله عز وجل في حق نفسه، والملائكة، وأولو العلم (٦٢) وذلك في قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ} قائماً بالقسط (٦٣) ، وبذلك يكون هذا التعريف مؤهلاً للتعبير عن معنى التصوف، من ناحية فنية وموضوعية؛ لكونه مختصراً، ومشتماً على وسيلة الصوفي في الوصول إلى حقيقة التوحيد .



## 2. في تاريخ المصطلح:

(٦١) التعرف لمذهب أهل التصوف، ص ٣٤-٣٥. وورد في طبقات الصوفية: السمرمية بدلاً من الأبدية، والمعنى واحد، ص ٤٦٤.

(٦٢) انظر: د. عبد الحليم محمود، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ص ٣٤٨.

(٦٣) آل عمران، ١٨.

إتماماً للفائدة في بحث المصطلح، يحسن الوقوف على الفترة الزمنية التي بدأ يشيع فيها • فقد دفع الطوسي (ت ٣٧٨هـ) تهمة الحدوث عن هذا المصطلح، وأنه لم يعرف إلا في فترة متأخرة نسبياً، ظناً منه أن تهمة كهذه قد تخل بنسبة التصوف إلى الإسلام، أو النظر إليه على أنه بدعة • ولقد مر معنا أن لا مشاحة في التسمية ما دام مبناها ومعناها لا يخالفان الكتاب والسنة • وأما البعد الزمني أو قرينه من الصدر الأول من الإسلام فلا يقلل من قيمة المصطلح، وإن كان قرينه يزيد صلابتها فيما لو كان متداولاً فيه • وأياً كان الأمر، فالطوسي يحاول رجوع تاريخ الكلمة إلى ما قبل الإسلام، واستناداً إلى محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥٠) في كتابه الذي جمع فيه أخبار مكة • قال: "إنه قبل الإسلام قد خلت مكة في وقت من الأوقات حتى لا يطوف بالبيت أحد وكان يجيء من بلد بعيد رجل صوفي فيطوف بالبيت وينصرف" (٦٤) • على أن هذا الخبر لا يعول عليه كثيراً في البحث الموضوعي • بل إن الطوسي نفسه يلمح إلى الشك فيه • وهو إذ يورده فإنما يورده للاستئناس لا اليقين • يقول: "فإن صح ذلك، فإنه يدل على أنه قبل الإسلام كان يعرف هذا الاسم، وكان ينسب إليه أهل الفضل والصلاح" (٦٥) • وهنا نتساءل: هل يمكن أن يكون هذا الرجل الصوفي منحدرًا من سلالة بني صوفة؟ أو ممن ينسبون إليهم؟ ثم يروي الطوسي عن الحسن البصري (ت ١١٠هـ) أنه قال: "رأيت صوفياً في الطواف فأعطيته شيئاً فلم يأخذ، وقال: معي أربعة دوايق فيكفيني ما معي" (٦٦) • ويستدل كذلك بقول سفيان الثوري (ت ١٦١هـ): "لولا أبو

---

(٦٤) اللمع، ص ٤٢-٤٣.

(٦٥) نفسه والصفحة نفسها.

(٦٦) اللمع، ص ٤٢.

هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء".<sup>(٦٧)</sup> وبناء هذين الخبرين يكون مصطلح التصوف قد عرف في النصف الأول من القرن الثاني الهجري لا كما يذهب ماسينيون إلى أنه عرف لأول مرة، لقباً مفرداً، في النصف الثاني الهجري من القرن نفسه<sup>(٦٨)</sup>. ومما يؤكد صحة شاهدي الطوسي المذكورين آنفاً، قول مساور الوراق (ت ١٥٠ تقريباً)، وهو شاعر كوفي مقل، ومن أصحاب الحديث، في بيتين من الشعر يعيب فيهما على رجل رياءه وتظاهره بالصلاح ويذكر فيهما لفظ التصوف:<sup>(٦٩)</sup>

تصوّفَ كي يُقال له امينٌ وما يعني التصوّفَ والأمانة  
ولم يُردِ الإلهَ بهِ ولكنْ ارادَ بهِ الطريقَ إلى الخيانة

فمما لا شك فيه أن استعمال هذه الكلمة كان قد شاع قبل الخمسين وبعد المئة؛ ذلك أن صورة الصوفي في البيتين، تكشف عن أن التصوف كان معروفاً وممارساً منذ زمن لا ندري حد بدايته، ولكنه يكفي للحدس بمدة طويلة نسبياً، لكي يصير للتصوف أذعياء، الأمر الذي يؤكد صحة الرواية التي نقلها الطوسي عن الحسن البصري، وبذلك يكون مصطلح التصوف والصوفي، قد عرفا فيما بين مطلع القرن الهجري الثاني، ونهاية النصف الأول منه، وهو داخل في عصر التابعين.



### ٣ . في المصدر الإسلامي للتصوف:

(٦٧) نفسه والصفحة نفسها. ابن الجوزي، صفة الصفوة، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٢/١٨٥.

(٦٨) انظر: ماسينيون ومصطفى عبد الرزاق، التصوف (كتاب دائرة المعارف الإسلامية) ط١، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٤، ص٢٧.

(٦٩) ابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهرسه: أحمد أمين، وأحمد

الزين، وإبراهيم الأبياري، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢/٢١٧.

ولئن كثر الجدل في اشتقاق التصوف، فقد كثر الخلاف في مصادره. على أن البحث هنا لن يدخل في معترك الخلاف بقدر ما سيحاول استخراج أركان إسلامية عامة تستحق أن تكون أصولاً للتصوف. ولقد كان الصوفية الأوائل، ولا سيما المعنيون بتاريخ التجربة الصوفية، قد تصدوا لبيان هذه المسألة، فاستخرجوا من مصدري التشريع الإسلامي، الكتاب والسنة، ما يؤكد شرعية التصوف، وانتماءه الأصيل للإسلام. وما هو ذا الطوسي يذهب إلى تقييد التصوف بأربعة أصول إسلامية هي: (٧٠)

١- متابعة كتاب الله عز وجل.

٢- الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- التخلق بأخلاق الصحابة والتابعين.

٤- التأدب بأداب عباد الله الصالحين.

وقد أيد أصول الطوسي هذه كل من كتب من الصوفية عن التصوف بعده. حتى إن ابن خلدون (ت ٨٠٨)، وهو من غير الصوفية، يدرك الصلة الوثيقة بين التصوف ومصدره الإسلامي، ويقرها بما يتفق مع مجمل ما ذكره الطوسي فيقول: " هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة. وأصله أن طريق هؤلاء القوم لم تنزل عند سلف الأمة، وكبارها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، طريق الحق والهداية. وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله تعالى، والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة. وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف، فلما فشا الإقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده، وجنح الناس إلى مخاطبة

---

(٧٠) اللمع، ص ٢١.



الدنيا، اختص المقبلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة<sup>(٧١)</sup> وهذه شهادة من ناقد تاريخي ذي عين بصيرة، وهو من غير الصوفية، يرى أن أصل التصوف نابع من الاقتداء بالصحابة والتابعين، وهؤلاء هم النخبة الذين اقتدوا بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما فيما يخص أصول الطوسي، فإن القرآن الكريم، من بينها، يعد المصدر الأول لثنائية الأحوال والمقامات، حيث ذكر التوابين، والصابرين، والفقراء، والمتوكلين، والشاكرين، والراضين، والذاكرين، والخاشعين، والخائفين، والراجين، والواجلين، والمقربين ٠٠٠ وفي ذكر المشاهدين قال تعالى: {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ} (72) إلى غير ذلك مما ورد في السنة ويدخل في المقامات والأحوال. ولا يسعنا هنا إلا استحضار معنى التصوف الذي استخلصه البحث آنفا وهو: الصفاء والمشاهدة. وقد ذكرنا أن الصفاء هو الوسيلة = المجاهدة. والغاية هي المشاهدة = المعرفة. ويستدل على المجاهدة من قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا}. (73) وقوله تعالى: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ}. (74) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "المجاهد من جاهد نفسه في الله". (75) أما سلوك الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والصحابة والتابعين وعباد الله الصالحين، فالشواهد عليها وافرة في هذا المجال، ويكتفى بإحالة المتطلع والمستزيد على كتب السير والحديث والطبقات والتاريخ، ليلمس مدى انشغال رجال الصدر الأول بمجاهدة النفس<sup>(٧٦)</sup> وتركيتها حسب أصول الشريعة.

(٧١) ابن خلدون، المقدمة، تحقيق: درويش الجويدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٥١٤.

(٧٢) ق، ٣٧.

(٧٣) العنكبوت، ٦٩.

(٧٤) النازعات، ٤٠-٤١.

(٧٥) أخرجه الترمذي في باب فضائل الجهاد، وقال حديث حسن صحيح • الجامع الصحيح، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة.

(٧٦) تعريف المجاهدة في الاصطلاح حسب الراغب الأصفهاني هو: "الجهاد والمجاهدة، استقرار الوسع في مدافعة العدو • والجهاد ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، ومجاهدة الشيطان، ومجاهدة النفس • وتدخل

أما ثمرة المجاهدة، وهي المعرفة، فتستخلص من قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ} {وَيَعْلَمُ اللَّهُ} (77) ومن قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَقْوَى اللَّهِ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا}. (78) أي فرقاناً بين الحق والباطل. وهذا الفرقان هو الذي يمثل جوهر المعرفة الصوفية، حينما يسعى صاحبها إلى البحث عن وجه الحق في الأشياء بالتقوى، والتقوى ليست مجرد علم وحسب، وإنما سلوك قبل كل شيء، أي مجاهدة. فإذا ما انتقلنا إلى الأصل الرابع والأخير من أصول الطوسي، وهو التأدب بآداب عباد الله الصالحين، فسوف نجد أنه ينطبق على الصوفية، حيث تجلت المعاني السابقة في أقوالهم ذات الطابع المعرفي الصادر عن تجربة المجاهدة. ويقول أبو علي الدقاق: "من زين ظاهره بالمجاهدة حسن الله سرائره بالمشاهدة". (79) ويقول أبو عثمان المغربي (ت 373هـ): "من ظن أنه يفتح له بهذه الطريقة، أو يكشف له عن شيء منها بلزوم المجاهدة فهو مخطئ". (80) ويجدر التنبيه هنا على أن الصوفية يستعملون مصطلحات متداولة بينهم، كالكشف والفتح والمشاهدة، في سياق التعبير عن الجانب المعرفي لديهم.

ولم يستطع المستشرقون أنفسهم، على كثافة دراساتهم للتصوف، واختلاف أهدافهم (81)، إلا أن يقرروا بالمصدر الإسلامي له. ولعل تجربة نيكولسون في

---

ثلاثتها في قوله تعالى: {وجاهدوا في الله حق جهاده} (الحج، ٧٨) وفي قوله تعالى: {وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله} (التوبة، ٤١) وقال صلى الله عليه وآله وسلم: "جاهدوا أهواءكم كما تجاهدون أعداءكم". مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، والدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٩٩٢، ص ٢٠٨.

(٧٧) البقرة، ٢٨٢.

(٧٨) الأنفال، ٢٩.

(٧٩) الرسالة القشيرية، ص ٩٨.

(٨٠) نفسه، والصفحة نفسها.

(٨١) يكشف أربري عن أن عدداً لا بأس به من المستشرقين، انطلاقاً من موقف منحاز، يرون أن كل فكرة سليمة أو ذات طابع متميز في الإسلام، هي من أصل أجنبي، ويجب أن ينسبها إلى مصدر من المصادر غير الإسلامية، وهذا على حد قوله ليس بالعلم الصادق النزيه. بل هو أسوأ أشكال التعصب الطائفي. انظر:

Arberry, A.J, An Introduction to the History of Sufism, Oxford, 1942, P 55

هذا المجال، تكون مثلاً جيداً على ذلك حينما تراجع عن آرائه السابقة التي أعلنها سنة ١٩٠٦، والتي يذكر فيها أن التصوف وليد الأفلاطونية المحدثّة والمسيحية والخنوصية. وقد كتب سنة ١٩٢١ مقالاً يثبت فيه تراجع، وينفي أن يكون التصوف وليد الثقافات الأجنبية، ويشير إلى أن ظاهرة الزهد والتصوف اللتين نشأتا في الإسلام، كانتا إسلاميتين في الصميم<sup>(82)</sup>. أما ماسينيون، فإنه يرى بعد دراسته لمصطلحات التصوف أن مصادرها أربعة:

١. القرآن الكريم، وهو المصدر الرئيسي للمصطلحات الصوفية.
٢. العلوم العربية الإسلامية، كالحديث والفقه وغيرها.
٣. مصطلحات المتكلمين الأوائل.
٤. اللغة العلمية التي تكونت في الشرق في القرون الستة المسيحية الأولى من لغات أخرى، كال يونانية والفارسية وغيرهما وأصبحت لغة العلم والفلسفة. ثم يشير في نهاية الأمر إلى أن التصوف الإسلامي قد نشأ من صميم الإسلام نفسه، على الأقل في القرون الثلاثة الأولى<sup>(83)</sup>. بل إن بعض المستشرقين يرى أنه " لا صوفية من غير إسلام"<sup>(84)</sup>.

لعله من المستحسن في ختام هذا البحث، تسجيل بعض أقوال الصوفية أنفسهم التي تربط طريقهم وعلومهم بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وأخلاق الإسلام الرفيعة.

وقال ذو النون المصري: " من علامات المحبة لله عز وجل متابعة حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم في أخلاقه وأفعاله وأوامره وسننه"<sup>(85)</sup> وقال الجنيد " الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة

---

(٨٢) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ترجمة: د . أبو العلا عفيفي. المقدمة، ص: س-ع .

(٨٣) An Introduction to the History of Sufism , P .48

(٨٤) Stoddart, William , The Mystical Doctrines and Methods of Islam, New Delhi, Jaj Company, 1983 ,P.19

(٨٥) الرسالة القشيرية، ص ٤٣٣ .

والسلام" (86). وقال: "من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر، لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة" (87). وقال شاه الكرمانى (ت 300): "من غض بصره عن المحارم، وأمسك نفسه عن الشهوات، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهرة باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، لم تخطيء له فراسة" (88). وقد عبر الشبلى عن علم التصوف شعراً بما ينسجم وقول علي بن أبي طالب عليه السلام في وصفه العلماء الريانيين بقوله: "000 وصحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى، أولئك خلفاء الله في أرضه 000". (89) يقول الشبلى: (90)

عِلْمُ التَّصَوُّفِ عِلْمٌ لَا نَفَادَ لَهُ      عِلْمٌ سَنِيٌّ سَمَاوِيٌّ رُبُوبِيٌّ  
فِيهِ الْفَوَائِدُ لِلْأَرْبَابِ يَعْرِفُهَا      أَهْلُ الْجَزَالَةِ وَالصُّنْعِ الْخُصُوصِيٌّ

---

(86) نفسه، ص 430.

(87) نفسه، ص 433. عوارف المعارف، ص 78.

(88) الرسالة القشيرية، ص 28.

(89) الشريف الرضي، نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، شرحه وضبطه الإمام محمد عبده،

مؤسسة المعارف، بيروت، ص 74.

(90) التعريف لمذهب أهل التصوف، ص 106.

### مصادر البحث ومراجعته

- الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، كتاب أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، دم، د.ت.
- البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، اليمامة للطباعة والنشر، دمشق، ١٩٩٣.
- بدوي، د. عبد الرحمن، تاريخ التصوف الإسلامي من البداية حتى آخر القرن الثاني، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٨.
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، تحقيق ما للهند من مقبولة في العقل أو مردولة، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٥٨.
- الترمذي، أبو عيسى بن سورة، الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي. تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، دار الحديث، القاهرة، د.ت.
- الجرجاني، علي بن محمد، كتاب التعريفات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، تاريخ عمر بن الخطاب. قدم له وعلق عليه: أسامه عبد الكريم الرفاعي، دم، د.ت.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، صفة الصفوة، ط٢، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٩٩٢.

- الحلاج، الحسين بن منصور، الديوان، صنعه وأصلحه: د. كامل مصطفى الشبيبي، ط٢، دار آفاق عربية، بغداد، ١٩٨٤.
- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف، البحر المحيط في التفسير، بعناية الشيخ عرفان العشا حسونه، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٢.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون. تحقيق: درويش الجويدي، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥.
- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٩٩٢.
- الرضي، الشريف، نهج البلاغة من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام، شرحه وضبطه الإمام محمد عبده، مؤسسة المعارف، بيروت، د.ت.
- ابن سعد، طبقات ابن سعد. تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د.ت.
- السلمى، أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، طبقات الصوفية. تحقيق: نور الدين شريفة، ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٦.
- السهروردي البغدادي، عبد القاهر بن عبد الله، عوارف المعارف، ملحق بنهاية الجزء الخامس من إحياء علوم الدين للغزالي، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- السيد الحميري، ديوان السيد الحميري. جمعه وحققه وشرحه: شاعر هادي شكر، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.
- الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، إيقاظ النائمين، تقديم وتصحيح د. محسن مؤيدي، مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنگي، طهران، ١٣٦١.
- أبو طالب المكي، محمد بن علي، قوت القلوب في معاملة المحبوب، دار الفكر، بيروت، د.ت.

- الطوسي، أبو نصر السراج، اللمع. حققه وقدم له وخرج أحاديثه: د. عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٠.
- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد، العقد الفريد. شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، ط٢، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٢.
- علي، د. جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط١، دار العلم للملايين ومكتبة النهضة، بيروت، بغداد، ١٩٧٠.
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي، الفتوحات المكية. تحقيق وتقديم: عثمان يحيى. تصدير ومراجعة: د. إبراهيم مدكور، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار الفكر، بيروت، د. ت .
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية في علم التصوف. تحقيق وإعداد: معروف زريق، وعلي عبد الحميد بلطه جي، ط٢، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٠.
- ابن قيم الجوزية، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين، تحقيق وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، ط٢، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤.
- الكلاباذي، أبو بكر محمد، التعرف لمذهب أهل التصوف. تحقيق وتعليق: محمود أمين النوري، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٠.

- الكلبى، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، جمهرة النسب، ط١، علم الكتب، بيروت، ١٩٩٣.
- ماسينيون، لويس ومصطفى عبد الرزاق، التصوف ( كتاب دائرة المعارف الإسلامية ) ط١، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٤.
- محمود، د. عبد الحليم، قضية التصوف، المدرسة الشاذلية، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- أبو نعيم، أحمد بن عبدالله، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٠.
- نيكلسون، رينولد، في التصوف الإسلامي وتاريخه. ترجمة: د. أبو العلا عفيفي مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٥٦.
- الهجويري، أبو الحسن على بن عثمان، كشف المحجوب. دراسة وترجمة وتعليق: د. إسعاد عبد الهادي قنديل، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨٠.

### الدوريات:

- الشيبى، د. كامل مصطفى، رأي في اشتقاق كلمة صوفي، مجلة كلية الآداب، بغداد، ع٥، سنة ١٩٦٢.

### الكتب الأجنبية

Arberry, A . J., An Introduction to History of Sufism, Oxford, 1942.  
Stoddart, William, The Mystical Doctrines and METHODS of Islam, New Delhi, Jaj Company, 1983.